قلعة بعلبك

للأستاذ احمد الصافي النجفي

دار وَحْيٍ أم قلعة أنا فيها ... كنبيٍّ يستنزل الإلهاما ؟
حرتُ أرنو إلى الطلول وأرنو ... لقرونٍ مضت وعهد أقاما
إيه أطلال بعلبك أجيبي ! ... أين خلَّفتِ قومك الأعلاما ؟
هل يبيد الحمامُ قوماً . إذا ما ... نهضوا للحروب قادوا الحماما ؟
هل يبيد الحمامُ قوماً وهذي ... غرّ آثارهم خلدْنَ عظاما ؟
تلك أرواحهم خلدْنَ بفنٍّ ... جلَّ عن أنْ يخلِّد الأجساما
إيه باخوس ... كم شربتَ قديماً ... مِنْ سلافٍ وكم سقيتَ ندامى ؟
صَرَعَتْهُمْ منك المدامُ .. ولكن ... أنت صاحٍ بها احتسيتَ المداما
كم سقيتَ الورى بجامك خمراً ... ثم أعقبته من الموت جاما !
أنت تسقي الوضيع كأسك حيناً ... ثم تسقي بها المليك الهماما !
رَفَسَتْهُمْ رجلاكَ لم ترع ذلاً ... لوضيع ، أو المليك احتشاما !
والعوامید خلتها في صلاةٍ ... رُكّعاً حول معبدٍ وقياما
صَرَعَ الدّهرُ بعضهنّ، وبعض ... واقفات تصارع الأيّاما !
وشجاني من العوامید ستٌّ ... واقفات صفاً يروع نظاما
ناظرات يسألن عن قرناء ... قد قطعن القرون والأعواما
دُمْنَ يبحثن عن رفاق فلا ... يبصرن إلاّ الإيوان والأهراما
وبقايا من تدمر كعروس ... ذات حُسْنٍ بالتّبر هامَتْ وهاما !
يتساءلْنَ هل أخذنا عهوداً ... لِلّيالي أو هل قطعنا ذماما ؟
درست دوننا القصور ودمنا ... ثم نرجو أنْ سوف نبقى دَوَامَا
يتفاخَرْنَ عكس طبع الفوانى ... أيّ أخت تربو على الأخت عاما؟
يبغض السنّ من يخاف فناء ... وأخو الخُلْدِ يعشق الأعواما
بمرور السنين يَزْدَدْنَ حُسْناً ... ثم يَزْدَدْنَ للخطوب ابتساما ؟
يا لَستٍ من العوامید هاجت ... في فؤادي ذكرى تؤجّ ضراما
أيّ شأن لها ، وأيّ ملوك ... سجدتْ حول عرشها تتراءى ؟
إنْ رأتْ سجْدَةَ الملوك فهذا ... الدهرُ أنى لها السجود احتراما!

أنا أكرمتها بدمعي احتراماً ... وكرام الأنام تبكي الكراما
يا لَستٍ من العوامید تُلْقِي ... لجميع الورى دروساً جساما
واقفات كأنها خطباء ... تعظ الأرضَ والسّما والأناما
قائلات : المجد يبقى وإنْ كا ... نَ بنوه تحت التراب رماما
يا لَستٍ من العوامید كم قد ... رفعت ثُمّ نكّستْ أعلاما
صافحت في الزمان رُومًا وعرباً ... ونصاري النزاة والإسلاما
صافحتهم وودّعتهم بكفٍّ ... لم تطوّل وداعها والسّلاما
ولكم أبصرت ولم تتزعزع ... عادياتٍ تجرّ مَوْتاً زؤاما
كم تلقّتْ بصدرها مِنْ سهام ... ورأت للعدى قناً وحساما
بسمت نحوها النزاة وعادت ... وهي تذرى لها الدموع انسجاما
يا لَستٍ من العوامید ظلّت ... كشموعٍ لِلدّهْرِ تجلو الظلاما
قد تعالَيْنَ فاتحدن رؤوساً ... ثم أحكمنَ في الثرى الأقداما
حاكيات وسط الفضا أخوات ... قد تماسَكْنَ واتحدنَ غراما
وضع الحسنُ والبها تاجَ حسن ... واحداً فوق رأسهنّ تسامى
وَحّدَ الحسنُ بينهنّ بتاجٍ ... حيث في الحسن قد بلغن التّماما!
فتعاهَدْنَ في كِفاحِ الليالي ... لا يبارِحْنَ حظّهنّ انهزاما
أو كفرْقَدٍ جَحْفَلٍ قد أطلّوا ... يصدرون الآراء والأحكاما
يتناجون دون تحريك هام ... حيث ولّوا نحو الجيوش الهماما
ظلّ بعضٌ يفضي لبعضٍ برأيٍ ... واستمرّوا يُراقبون الصّداما
يا لَستٍ من العوامید تبكي ... أخوات لها قضين انهداما
هدّمتها كفّ القضا فاشتهت لو ... حطمت معول القضا الهدّاما !
ذكرت عهدها القديم فأمست ... وهي يَقظَى تشاهد الأحلاما
كم وعت خطبةً وأصغت لنجوى ... آه ... لو أنها تعيد الكلاما ؟
تتراءى كأنها كفّ جبّا ... رٍ عظيمٍ زادوا بها إبهاما
جسمه القلعة المهيبة لكن ... أَلْبَسَتْهُ يد البِلى أسقاما
فانهدامَاتها جراح بجسم ... طالما مارس الوَغى والزّحاما
كسرت عظمة الليالي فلم ... يُبْدِ انكسارًا ولا اشتكى آلاما
وسبتني فيها تماثيل غيد ... عبدتها أهل الهوى أصناما
سكب الفجر ضوءه في ثنايا ... ها وألقى الضحى عليها ابتساما